

لماذا الزواج؟



«الحثّ الشرعيّ»:

الزواج في الإسلام مينيّ على عقد اسمه "عقد الزواج"، ويمجرّد أن يتمّ هذا العقد بين رجل وامرأة يعني أنّ مجموعة من الحقوق والواجبات قد ترتّب على كلٍّ منهما، أي أنّهما قد وافقا على نمط من العلاقة، وعلى مجموعة من الضوابط بمجرّد الموافقة على عقد الزوجية.

يقول الله تعالى: (وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بِيَدَيْنَ وَجَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبِطَالِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) (النحل/ 72).

وقد اعتبر الإسلام الزواج أمراً إيجابياً وكمالاً للإنسان، فقد ورد عن الرسول الأكرم (ص): "ما بُني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من التزويج".

لقد حثّت الرسالة الإسلامية بشكل كبير على الزواج وبناء الأسرة، وأعطت الامتيازات للمتزوِّج على العازب، حتى صار نومه أفضل من قيام العازب كما ورد في رواية عن رسول الله (ص): "المتزوِّج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب"، وعباداته أفضل بدرجات كما يستفاد من الرواية عن الإمام الصادق (ع): "إنّ ركعتين يصلّي بهما رجل متزوِّج أفضل من رجل يقوم ليله ويصوم نهاره أعزب".

أهداف الإسلام من بناء الأسرة:

إذا عدنا إلى الروايات الشريفة نجد عن رسول الله (ص): "إذا تزوّج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتّق الله في النصف الباقي".

وفي رواية أخرى عنه (ص) تظهر فائدة أكبر للشباب: "ما من شاب تزوّج في حداثة سنّه إلا عجّ"

شيطانه: يا ويله يا ويله عصم منّي ثلثي دينه، فليتّقِ العبدُ في الثلث الباقي".

ويمكن أن يُدعى أن: هذا نوع من التشجيع على الزواج، ولكنّه ليس كذلك، بل هو وصف للواقع. إنّ مقوّمات الزواج الذاتية قبل أن ندخل إلى تفاصيلها، تحقّق نصف الدين، لأنّها تشكّل حماية حقيقية من مجموعة من العقد والمشاكل والعقبات بمجرد حصول الزواج بين الرجل والمرأة، فالزواج في الحقيقة يحقّق مجموعة من الأهداف الهامّة للزوجين وللمجتمع.

فما هي الأهداف التي يريد الشارع المقدّس تحقيقها من خلال الزواج، وبناء الأسرة؟ وكيف صار نصف الدين أو ثلثيه؟ هناك عدد من الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى هذه الأهداف:

الآية الأولى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) (الرّوم/ 21).

يذكر تعالى سبب ومبرر الزواج في عبارة (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا). وهذه العبارة تعني الاستقرار والاطمئنان والراحة، فالزواج يؤدّي إلى الاستقرار، وهذا الاستقرار شامل ومتنوّع:

- 1- على المستوى النفسي: حيث يصبح الإنسان مرتاحاً يعيش حالة حبّ وانسجام في كلّ العناوين التي لها علاقة بالعامل النفسي، بشكل ينعكس على حياته كلّها، وفي الرواية عن رسول الله (ص): "زوّجوا أيّامكم فإنّ الله يحسن لهم في أخلاقهم ويوسّع لهم في أرزاقهم ويزيدهم في مروّتهم".
- 2- على المستوى الجسدي: هناك متطلّبات للجسد عند الرجل وعند المرأة لا يمكن معالجتها إلاّ بالزواج، الذي يؤدّي إلى استقرار الجسد ويلبّي متطلّباته.
- 3- على المستوى الاجتماعي: هو سكن اجتماعي، لأنّ الإطالة من خلال علاقات الزواج مع الآخرين تمكّن من أن يبني الإنسان أسرة ويتفاعل مع الآخرين.
- 4- على المستوى الماديّ: فهو أيضاً سكن ماديّ فيه تنظيم الأداء اليومي لحياة الأسرة.
- 5- على المستوى الإداري: هو سكن إداريّ فيه تنسيق للأدوار بين الزوجين.

فكلّ أنواع الاستقرار موجودة في الزواج، سكن نفسيّ وجسديّ واجتماعي وماديّ وإداريّ، لأنّ الزواج لم يشرّع ليعالج زاوية واحدة فقط.

وقد وقع الكثيرون في الخطأ عندما نظروا إلى الزواج كمعالج لزاوية واحدة. فعندما ينظر الإنسان إلى الزواج بجزء منه دون الأجزاء الأخرى يعطّل السكن، لأنّ السكن أشبه بأعمدة لا يمكن أن يستقرّ البناء دون أحدها أو بعضها.

لذلك عندما يقع خللٌ ما في الحياة الزوجية فقد يكون من البداية بسبب طريقة التفكير، فإذا سئلَ الرجل لماذا تزوّجت؟ يقول لأنّني أريد من يخدمني، يعني أنّّه أخذ جانباً من هذا الزواج. وإذا سئلت المرأة لماذا تزوّجت؟ تقول: أنا تزوّجت لأنني لم أعد أحتمل البقاء عند أهلي. إذاً كلّ واحد منهما أخذ جانباً ولم يلتفت للجوانب الأخرى. لذلك يمكن أن تتعرض مؤسسة الزواج بينهما إلى مشاكل، ويقول كلّ واحد منهما أنا لا أشعر بسكن في الزواج، نعم لأنّهما لم يكملا مقوّمات السكن، فمقوّمات السكن مشتركة ومتعددة وبالتالي لا بدّ من العمل معاً لهذا التعدّد من أجل تحقيق السكن فيما بينهما.

الآية الثانية:

إنَّ العزوبة - وهي العزوف عن الزواج، وبغضِّ النظر عن الأسباب الداعية إليها - تعتبر من المصائب الكبرى التي قد تؤدِّي بمجتمع مترابط إلى التفكُّك والانهيار، لأنَّ العائلة هي الحصن الأساس للمجتمع، فإذا ضُرب هذا الحصن، فسيكون المجتمع كلُّه في مهبِّ الريح على المستوى الاجتماعي. وهذه التجربة الغربية ماثلة بتفكُّكها ومشاكلها الاجتماعية.

ومن هنا فإنَّ حكمة الباري وعلمه بمصالح العباد قضيا بكراهية العزوبة، وأوجبا الزواج على من يخاف على نفسه الوقوع في الحرام، ففي روايات كثيرة أنَّ رسول الله (ص) قد ذمَّ ترك الزواج، ومنها: "شرار موتاكم العزَّاب".

وفي رواية أنَّ رسول الله (ص) قال - لرجل اسمه عكاف -: "ألك زوجة؟ قال: لا يا رسول الله، قال: ألك جارية؟ قال: لا يا رسول الله، قال: أفأنت موسر؟ قال: نعم، قال: تزوج وإلا فأنت من المذنبين".

ومن المناسبات هنا أن نلتفت إلى ما قد يتصوَّره بعض الناس من أنَّ ترك الزواج هو مسألة حسنة، ويهدف إلى إماتة الشهوة، وتهذيب النفس، فيتصوَّر أنَّ ترك الزواج من الطرق المؤدية إلى الله تعالى.

إنَّ هذا التصوُّر لا ينجس مع سيرة الرسول الأكرم (ص) وأهل البيت - عليهم السلام -، فلقد كانوا يتزوَّجون كباقي الناس، بل إنَّ الرسول الأكرم (ص) كان يحثُّ الناس دائماً على الزواج، ويروى أنَّه ذمَّ بعض أصحابه ممَّن ترك الناس رغبة في العبادة وقال له: "لا رهبانية في الإسلام".

ويروى أنَّ امرأةً سألت أبا جعفر الباقر (ع) فقالت: "أصلحك الله إنني متبتِّلة، فقال لها: وما التبتُّل عندك؟ قالت: لا أريد التزويج أبداً، قال: ولم؟ قالت: ألتمس في ذلك الفضل، فقال: انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة أحقُّ به منك، إنَّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل".

مبررات ترك الزواج:

قد يبرِّر بعض الشباب تركهم وتأخيرهم للزواج بأنَّ الوضع الاقتصادي لا يسمح لهم بذلك، وهذا ما نهت عنه الروايات؛ ففي الحديث الشريف عن الرسول الأكرم (ص): "من ترك التزويج مخافة العيلة، فقد ساء ظنُّه بالله عزَّ وجلَّ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: (إِنَّ يَكُونُوا قُرَّاءَ بُعْدِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النور / 32)، فالله تعالى هو وكيل المتزوج كما في هذه الآية الشريفة، وكذلك في الرواية عن الرسول الأكرم (ص): "اتَّخذوا الأهل فإنَّه أرزق لكم". ▶